عالحرية

حرية، كرامة، مواطنة

العدد 99 18 / 10 / 2021

مجلة شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

رسائل غير موارية

افتتاحية العدد

بين حين وآخر، تصلنا رسالة صريحة من النظام الدولي، تخالف النفاق والكلام المعسول الذي تدبجه عادة؛ بأن الدول الكبرى تريد تحرر الشعوب، ونشر الديمقراطية، وهي تهتمّ لحقوق الإنسان، بل إنها صديقة للشعب السوري! ولن تكون صفقة عودة المجرم رفعت الأسد إلى سوريا آخر هذه الرسائل المباشرة الصفيقة.

فرنسا بلد الحقوق والحريات، لا توارب ولا تخجل في إعلانها الفجّ أن حماية المجرمين بحق الشعب السوري مكفولة، حتى لو مارسوا التجاوزات هنا وهناك للقوانين الفرنسية أو غيرها. ومن إيطاليا ربما يستورد النظام السوري المخابراتي أنظمة يراقب بها شعبه ومعارضته، وفي بريطانيا يستثنون عائلة الأسد من العقوبات الدولية، ويتساهلون معها أيضاً كما تساهلت إسبانيا وفرنسا مع مجرم ونصّاب دولي مثل رفعت. ولا تفتأ التسريبات تتدفق عن دول أوربية (غربية) من "الأصدقاء" تدعم الإجرام والفساد بالسرّ أو بالعلن أو تتعامى عنهما. وهناك فيتو صيني وآخر روسي؛ يتناوبان أو يضربان "الرفسة المزدوجة" للدفاع عن إجرام النظام في سوريا. والوساطة، من سمسار شرير ما، حاضرة دوماً لعقد الصفقات وإبرام العقود الضامنة لحماية الطغمة الحاكمة في دمشق وتأبيد حكمها ذراعاً ظاهراً أو خفيّاً لاحتلالات متعددة.

وكذا الحال في مصر، وربما في ليبيا وتونس والسودان والسعودية وبلدان عديدة من ربيع العرب وخريفهم وباقي فصولهم.. فضلاً عن حماية ديكتاتوريات أخرى غير عربية، ولكن حظّ منطقتنا في هذا هو الأوفر.. لميلة بختنا!

لم يعد خافياً أن هناك قرار (من الكبار) بإيقاف عجلة التاريخ؛ لما فاجأتهم شعوب المنطقة بدفع هذه العجلة، وبدأت فعلاً بزحزحتها وإزالة الصدأ عنها. خافوا لو كرجت العجلة أن تطحن ثرواتهم وتطال فسادهم، فانطلقت عملية الإجهاز على الربيع وقتله، وفي سوريا بالذات: قتله تحت التعذيب!

لأن لا يزهر العالم كله ربيعاً، تحكمه شعوبه، ولأن لا يصير العالم كله ملكاً للناس! كان لا بد من "مؤامرة" جادة. لنتجاوز الآن للحظة مسألة أننا مقصرون وأننا نرتكب الأخطاء و... نحن هنا لا نقول إننا ملائكة يتآمر علينا الشياطين. ولمسألة لوم ذاتنا وعدم ملائكيتنا مقام ومقالات أخرى.

كل القرارات والممارسات الجادّة للنظام الدولي تصبّ في ذات المستنقع؛ مستنقع الأبدية المرسوم للطغاة والسفاحين على امتداد البلاد العربية، وسدّ المنافذ بوجه رياح التغيير وبوادر الثقافة الديموقراطية.

الضوء أخضر دائماً أمام آلة القمع والإذلال والسرقة، والهدف واضح تماماً، حماية مكانة بشار الأسد وترسيخ سطوة النظام كضامن وحامي لأتباعه المجرمين، وتكريس سوريا كبؤرة جاذبة للشرّ، وبوتقة لتجميع الحثالة والمجرمين من كل أنحاء العالم.. أفراداً وتنظيمات وعصابات.

هذه هي رسائل العالم إلى السوريين والحالمين بالربيع من غيرهم.. وهذا هو المستقبل المرسوم لحلم الحرية الذي انقلب كابوساً أبدياً.

نتلقى رسائل العالم (الأول) لنا، والتي منها أنه يجب علينا أن نكون حبّابين أليفين غير متطرفين، وأن الصفاقة من طرفهم هم ينبغي أن تكون مقبولة. بينما صراخنا من الألم هو المزعج والمكرر وغير العصري. ثم لا يسعنا إلا أن نعود لمهمة أسهل من تغيير العالم الصفيق أو تصليح ما أخطأنا به؛ نعود دوماً للاختلاف وتبادل الملامة بدل تقاسمها.

والله المستعان!

طلعنا عالحريّة

شهرية ثقافية، اجتماعية، سياسية، تعنى بالشأن السوري

www.freedomraise.net

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد

رئيس التحرير أسامة نصّار

نائب رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت

facebook.com/rising4freedom

twitter.com/freedomraise

freedomraise@gmail.com

المدير الإداري	الغلاف	كاريكاتير	أمن رقمي ومحاسبة	زملاء مختطفون في سوريا
معتصم أبو الشامات	سمير خليلي	سمير خليلي / هاني عبّاس	وائل موسى	رزان زيتونة - ناظم حمادي

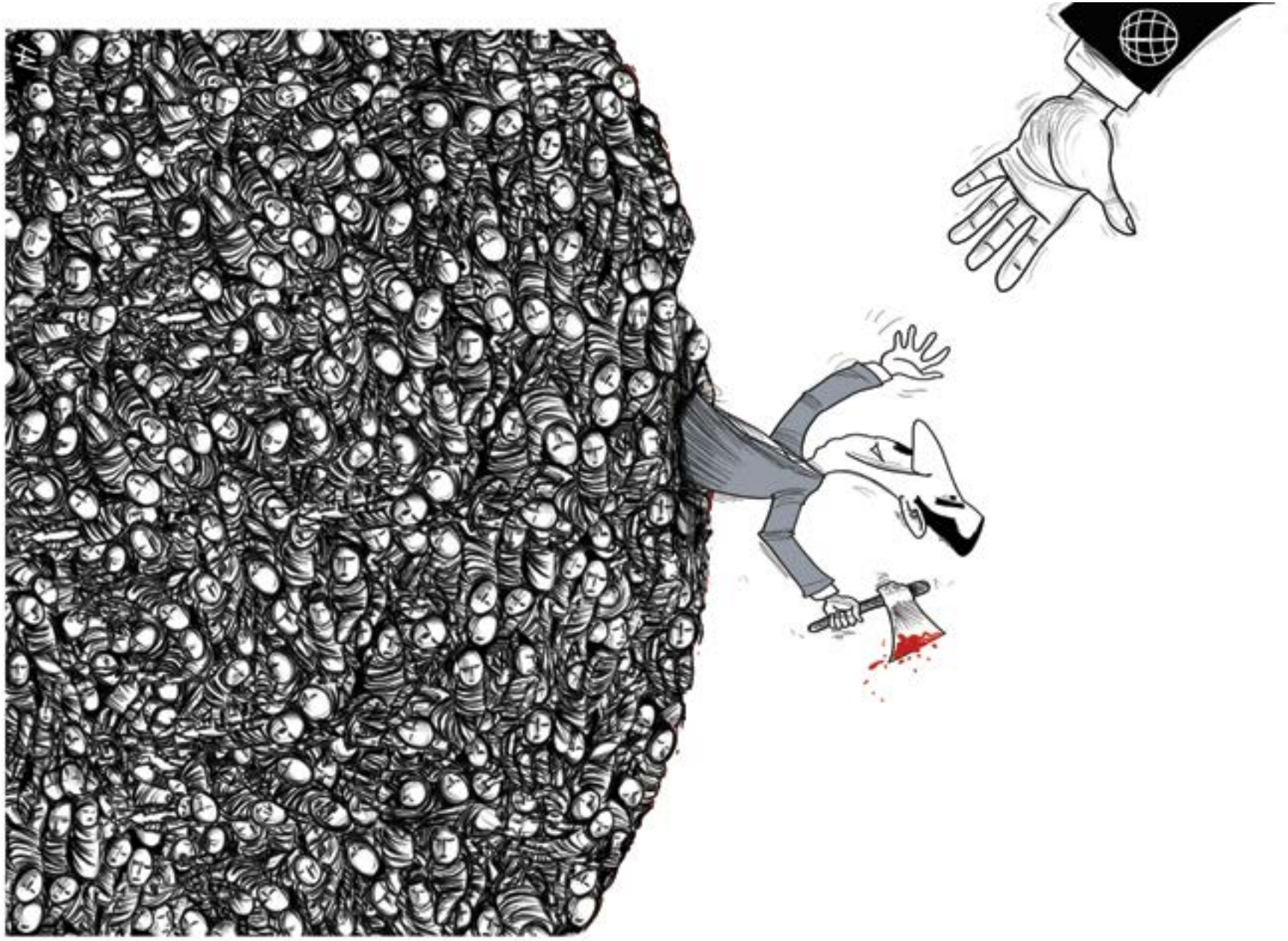

العربي كفيزياء مستحيلة!

مرزوق الحلبي

ليس للعربيّ أي مكان في الماضي ينسحب إليه. ليس لديه إلى أين يعود. أقول هذا والثقافة العربية الدينية منها والعَلمانيّة لا تزال، رغم انكسار الزوارق عند الصخور، ذات نزعة ماضويّة. عبثًا نحاول تجنيد قوانين الفيزياء لنؤكّد أن الزمن الذي مضى، مضى وانقضى. وأنك لا تستطيع أن تمكث في لحظة انتهت مهما كانت مُضيئة أو ذروة، في الحقيقة أو الوهم. ومع هذا يبدو العربيّ المتوسّط، ويتفوّق عليه المسلم المتوسّط، شغوفًا بالتاريخ حدّ الإقامة فيه، لا سيّما فيما يعتبره ذرى في هذا التاريخ أو عصرًا ذهبيًّا مُتخيّلا. فالعربيّ عمومًا، كما لاحظ مفكرون وباحثون عرب، مُصاب بالتاريخ يكتبه ويكرّره ويُعيده وينسخه بنشوة مبالغ فيها حدّ أنه أمكننا أن نقول إن التاريخ هو مرض العربيّ المُزمن. ربّما لأن الجرح في الروح والجسد العربيين عميق مع تكرار الهزائم والانكسارات لا سيّما في العصر الحديث إلى يومنا هذا. فيأتي التعويض برواية كلّها مجد تليد و"أمّة خالدة" بل "خير الأمم" وصولًا إلى عهد النبوّة والحكم الرشيد، علما بأن المتأمّل في هذه الحقبة سيكتشف أنها لم تكن مشرقة في مستوى الاجتماع وإن كانت محفوفة بالنصر في الحروب. يتبع ذلك بطبيعة الحال ذكر القداسة والنبوّة وما انبثق عنها من مدوّنة لا تترك للعربيّ أي مجال للشك بالتاريخ ـ تاريخه. هذه هي مدوّنة العربيّ المتوسّط عن نفسه وتاريخه، وعليه فهو يسكنها ويستبطنها أينما ذهب حتى إلى ديار الغرب وعواصمه. بل تصير هي هي الهويّة المثلى التي لا يرقى إليها شكّ مهما تتالت الهزائم والانكسارات، ومهما كان الإخفاق شاملًا. من الفشل في إدخال الخيط في خرم إبرة وصولًا إلى الإخفاق في سؤال الاجتماع على أساس العدل المعقول وإدارة المؤسّسات ودولة المواطنين وحقوق الإنسان. ولأنها هذه هي المدوّنة، لا يتردّد العربيّ المتوسّط، الفرد والجماعة، في تحويل نقائصه وهزائمه على كل الجبهات الأخلاقية والثقافية والسياسية والاجتماعية إلى فضائل يتفاخر بها أو يستعلي بها على شعوب ومُجتمعات سبقته في إنجازاتها لا سيّما في بناء نموذجها من الاجتماع المدنيّ المعقول. حالة من الغشّ الذهني التي يتّسم بها العربيّ أكثر من غيره. للحقيقة أشير إلى أن تحويل الجمود والفشل إلى موضوع مفاخرة ومباهاة ليس حصرًا على العرب موضوعنا، بل هي حالة تصيب المجتمعات العاجزة عن نزع جلودها كي تتعافى وتنهض وتُشرق. فالعجز يجعلها تقوم بفعل العاجزين ومنه تحويل العطب إلى مفخرة والتاريخ إلى يوتوبيا.

لا أحد يستطيع أن ينجو من غرق بالاتكاء على مجد غابر أو عصر ذهبيّ متخيّل. إلّا إذا كان مجبولا على العاطفة والخيال المجنّح فيركن إلى دغدغات في أسفل بطنه ويتيه من الخيلاء بينما هو في عوز أو فاقة، أو في بطرٍ أو وفرة من ريع النفط تُغنيه عن التفكير والفعل، خاصة إذا كان بإمكانه أن يشتري المجد الماديّ للتعويض عن خواء المعنى. كلّ المدوّنة التي يعيش فيها العربيّ لا تنفعه في شيء، وكلّ النصوص دون استثناء ينبغي التعامل معها كفولكلور ليس أكثر. أمّا اللغة العربيّة على العموم فمهجورة؛ لا تقترب من العصر ولا من معضلاته، تحتاج إلى عملية تحديث وتطوير عاجلة. لغة جامدة قاصرة، تُقيم في أسر من سوريْن عاليْن من القداسة، شاده الإسلامويون والقوميون الرومانسيون العرب. ليس أمام العربيّ سوى أن يتقدّم من حاضره إلى مستقبله، حاملًا مفهومًا جديداً للاجتماع البشريّ، ومعنى جديدًا لنفسه ولغيره. هناك ضرورة قصوى في أن يُشفى من عُقدة التاريخ والمكوث فيه كماضٍ

مضى وانقضى. فلا المجد يُستعار، ولا الرفاهية، ولا الاجتماع المعقول، ولا الهويّة تُقتبس، ولا المجد الغابر، ولا أيام العزّ.. كلّها تُصنع صناعة يدويّة كلّ يوم من جديد بالفعل والتحدّي، لا بالتمعّن في نصوص تقادمت، وإلقاء خطبٍ وإنشاء خطاب نقلًا عنها. أما منتهى الهويّة المعافاة فهو الحفر فيها ونقدها وتطويرها بعد تطبيع العلاقة معها لا مثْلَنَتها، ولا إعفاء النفس من الانكباب عليها تصحيحًا وإكسابا لمضامين جديدة تتلاءم مع الزمن وتحفر طرقها فيه. وإلّا مشى الزمن على جثثنا وغاب كما هو حاصل الآن في مواقع العرب والمسلمين. النقل والاتباع واقتباس الأوّلين هو الفعل النابع من عُقدة التاريخ. والإبداع-إبداع ذاته ومعناه ومستقبله- هو ما يحتاجه العربيّ. والسؤال؛ سؤال الوعي والإرادة الساعية إلى صنع التاريخ لا مضغه واجتراره. ولا يستطيع العربيّ مَوْضعة نفسه من جديد مقابل المراكز الأخرى وفي رأسها الغرب، وفي مكان عالٍ ضمن حركة التاريخ، إلّا إذا تموضع من جديد ضمن ثقافته من خلال رمي كل أحمالها المعطوبة في البحر أو في الصحاري، لا سيّما أساطيرها وغيبياتها وأوهامها، والتفكير بإمكانية العودة إلى الماضي أو استحضاره. لا يُمكن للماضي في الفيزياء أن يكون زمنًا حاضرًا أو مستقبليًا. وهذه هي أزمة فيزياء العربيّ!

فصل الاتصال فيما بين الديني والدنيوي

ماجد كيالي

مازال البعض لا يدرك أهمية التمييز بين شؤون الدين وشؤون الدنيا، على أساس رؤية مغلقة مفادها أن الدين لم يترك شيئا لم يقله، وهو قول عمومي، أو شعاراتي، ينم عن رؤية بسيطة ومتعسفة ومتسرعة، تضر الدين أكثر مما تتنصر له؛ إذ هي تحمله أكثر مما يحتمل، وتخلط بينه باعتباره مجرد رؤية عامة مقدسة للكون والبشر ومقاصد الخلق، وضمن ذلك العبادات والمسلكيات، وبين شؤون الدنيا التي تتعلق بتفاصيل الحياة بصغيرها وكبيرها، وضمنها صنع التاريخ وبناء المجتمعات وانتهاج السياسات وصوغ العلاقات الدولية، وهي مسائل تخضع للتساؤل والمساءلة.

معلوم أن الرسول الكريم هو الذي قال: "أنتم أعلم بشؤون دنياكم"، وقد عرف عنه استشارته كبار الصحابة بخصوص متطلبات الحياة في المدينة المنورة، وضمنها خوض الحرب أو السلم، فالدين لم يتحدث عن تنظيم المدن أو كيفية بناء الطرق وإدارة الجامعات، ولا عن علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء، وإذا كان تحدث عنها فأين؟ ولماذا إذاً لا نتقدم؟ ثم الأهم: لماذا مازلنا نعتمد في حياتنا على نتاجات الغرب من إبرة الخياطة إلى الكومبيوترات والسيارات والأدوية والسلاح؟ القصد أنه آن لنا، بعد هذه التجربة المريرة، أن ندرك أن إقحام الدين في كل شيء يجعل منه مجرد أداة للاستخدام والاستغلال، وينزع عنه قدسيته، كما من شأن ذلك ظهور محاولات تطويعه لأغراض سلطوية، أو تتعلق بتعزيز المكانة وتعظيم المصالح.

ومن أهم انعكاسات إقحام الإسلام في السياسة أنه يولد "إسلامات" جديدة، بمعنى ما، متباينة ومختلفة عن بعضها البعض، على نحو ما حصل في التجربة التاريخية وما يحصل في أيامنا هذه؛ وهذا يختلف تماماً عن اعتماد الإسلام كمرجعية لأحزاب سياسية معينة. هذا الوضع يحيلنا إلى سؤال: أي إسلام نريد؟ "السني" أم "الشيعي" أم واحد غيرهما؟ هل إسلام قم أم النجف أم مكة أم الأزهر؟ ثم لدينا إسلام "الولي الفقيه" وآيات الله في إيران، ولدينا إسلام حزب الله في لبنان وكتائب أبو الفضل العباس في العراق، والحوثيين في اليمن. كما ثمة إسلام "داعش" و"جبهة النصرة" والإخوان وحزب التحرير وحزب النهضة وحزب العدالة والتنمية (التركي)، وغير ذلك كثر.

المشكلة، التي ينبغي أن يلحظها بعض الإسلاميين، أن كل واحدة من هذه الجماعات ترى الجماعات الأخرى خارجة عن الإسلام أو منحرفة عنه، بينما هي التي تمثل الإسلام الصحيح، وأنها وكيلة الله على الأرض، بل ثمة جماعات تكفر غيرها وتقاتله، فحتى النصرة تكفرها داعش، وهي تكفر غيرها وهكذا.

المشكلة الأخرى أن كل جماعة إسلامية تروج لما تعتبره إسلامها أو صحيح الإسلام، لديها منظريها من المشايخ، مع صفوف من المفتين الذين يمكن أن يبرروا أي تصرف لها. حتى بشار الأسد له مشايخه ومفتيه. على ذلك، آن للبعض أن يتفحص بطريقة نقدية ما يحصل، بعيداً عن التعصب الديني أو الأيديولوجي، لإدراك أن الله لم يوكل أحداً عنه، وأنه هو ولي الحساب، وهو القائل "لا إكراه في الدين"، و"من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر". وأيضاً إدراك أن الدين واحد في القرآن، وأنه لا اجتهاد بعد وفاة الرسول وفق النص القرآني "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً"، أي أن كل ما جاء بعد ذلك هو مجرد اجتهادات يفترض أن تنم عن روح التسامح في الإسلام، كما يفترض أن تعرض للمساءلة والفحص والنقد.

هذا يقودنا إلى عبارة "الإسلام هو الحل" وهي مجرد شعار تعبوي ينطوي على استغلال الدين، والأخطر من ذلك إظهاره كإسلامات متعددة، متطرفة ومعتدلة ومتوسطة. ينبغي التمييز بين الديني المقدس والدنيوي المدنس، وتحرير الدين من السلطة ومن التاريخ؛ فالإسلام شيء وتاريخ المسلمين شيء آخر، كما ينبغي منع استغلال الدولة للدين، واستخدامه في الأغراض السلطوية. أما الحديث عن الحاكمية لله، فهو ليس نصاً مقدساً بل مجرد اجتهاد، والأهم أن الله لم يوكل أحداً عنه في الأرض، وأن مستخدمي هذه المقولة يتوخون استغلال الدين لفرض رؤاهم، وتجنب المساءلة والنقد والمحاسبة باعتبارها من أبجديات العمل السياسي.

الأمل بما تبقى من العمل

عبد الله شاهين

أبو عبدو مواطن طموح وذو همة. لديه روح ريادية فيما يخص العمل. قرر خوض تجربة صناعية؛ حيث قرر أن يؤسس مصنع شيبس "زعتور". رقائق من الذرة المقرمشة المغطاة بالزعتر!

لا يكفي أن يكون أبو عبدو طموحاً، بل ولا بد له أن يمتلك مهارات تقنية تجعله ملماً بعمليات التصنيع والتغليف والتخزين والتسويق. خبرات لا بد لها من تجارب عملية في أسواق منظمة. لكن حتى لو امتلك أبو عبدو كل هذه المهارات، فإنه يظل معتمداً على وجود لائحة طويلة من المعطيات التي لا بد من توافرها لقيام العمل.

بداية؛ سوف يحتاج إلى دقيق الذرة، الذي بدوره يتطلب وجود من يزرع الذرة ويحصدها، ووجود من يخزنها ويوزعها، ومن ثم نقلها إلى مصانع ليتم تحضير ذلك المسحوق، ولابد من آليات لتخزين هذا المسحوق وبيعه وتوزيعه. ومثل هذا سوف تحتاج خامة الزعتر، والزيت الذي سوف يستخدمه في تصنيع هذا المنتج، وكذلك 10 مكونات أخرى، ومنها ما يتطلب استيراده من الخارج لعدم وجوده في لائحة التصنيع المحلي.

سوف يحتاج كذلك إلى وجود مصنع لأكياس التغليف، التي لديها هي الأخرى خط إنتاجي طويل ومتعدد المراحل، ومعتمد على عشرات الأشخاص.

وكذلك هو بحاجة إلى معدات صناعية للقيام بهذا العمل في المكان الذي سوف يخصصه في المنطقة الصناعية في مدينته.

بالطبع، لن يقوم أبو عبدو بكل هذه الأعمال وحده، بل يحتاج إلى عمال مهرة قادرين على تشغيل هذه الآليات وصيانتها، وعلى تغذيتها بالعيارات المطلوبة، والتأكد من إتمام المنتج بطريقة مقبولة ومتسقة. ومن ثم، هنالك عمال سوف يقومون بتخزين البضاعة وتوصيلها إلى الموزعين الذين سوف يأخذونها إلى الأسواق.

بالطبع، مصنع أبو عبدو يعمل على الطاقة الكهربائية، والعديد من آلياته تحتاج مصادر طاقة أخرى كالغاز والمازوت. ولابد من توافرها لكي يتمكن من تشغيل المعمل وإنتاج بضاعته. كما يتطلب وجود آلية تقاصّ واضحة يدفع بها تكاليفه ويحدد بها أرباحه.

من المفترض كذلك وجود عملة مالية منظمة وذات قيمة قليلة التأرجح. ونظام مشرفي يشرف على التقاص ويحفظ الأموال، ونظام اقتصادي يكفل الحقوق ويحمي "أبو عبدو" من السرقة والنهب، كما يضمن أن مستحقاته محفوظة.

وأخيراً، سيتضرع أبو عبدو بأن يكون لدى من يستسيغون هذا المنتج ما يكفي لشرائه واستهلاكه!

...

عاش القطاع الصناعي في سوريا لعقود طويلة رغم غياب عدد من مكونات "الطبخة" التي أوردتها في قصة أبو عبدو. وكان النظام السوري هو السبب الأول والوحيد في غيابها أو عرقلتها. استمر القطاع الصناعي -واقتصاد البلد عموماً- على حالة من التراقص على خيط رفيع بالكاد ينجو من السقوط.

اختار معظم أصحاب النشاطات الاقتصادية في سوريا صفّ النظام عند انطلاق الثورة. بالرغم من النهب المتكرر الذي تعرضوا له من قبل النظام. وتوقع كثيرون منهم أن تجازى مواقفهم "الوطنية" عقب "الانتصار على المؤامرة"، أو على الأقل أن يتركوا في حال سبيلهم.

لكن نظام الأسد اليوم يتوجه إلى "تشليح" ما بقي من القطاعات الاقتصادية من أصحابها ومنحها لأمراء الحرب الذين تكونت لديهم ثراهة كبيرة للمال السريع، فكان عليه أن يولمهم ما تبقى من مصانع وشركات. وهذه الخطوة هي إعلان انتهاء الحلم السوري بالريادة الصناعية، والاستفاقة على الواقع المرير. واقع أن أمراء الحرب هؤلاء لا دراية لهم ولا اهتمام في المجالات التي استولوا عليها، وأنهم وإن أرادوا تشغيل هذه المنشآت، فلن يجدوا لا المواد الخام ولا مصادر الطاقة ولا حتى الأيدي العاملة. فالجهد الجبار الذي كان يقوم به أبو عبدو في السابق لن يتكرر، حتى وإن تكرر فلا يمكن أن يعيد "شيبس زعتور" إلى السوق ويضمن استمرارية هذا المنتج. وإن المصير الأعلى احتمالاً هو قيامهم (أمراء الحرب والأعمال) بالفعل الذي احترفوه خلال السنوات الماضية؛ وهو تشليح هذه المباني من المعدات والآليات وحتى الأسلاك الكهربائية وبيعها "بالكيلو" مقابل أبخس الأثمان. فلا الأسد سوف يستطيع إسكات جوعهم، ولا الاقتصاد استطاع تحصيل بعض من الاستقرار والاستمرارية على أيدي المتنفذين الجدد.

إن أكبر الخاسرين سوف يكون الشعب السوري في المحصلة، والذي تتضاءل فرص العمل وأدوات الإنتاج المتاحة أمامه يوماً بعد يوم، وسوف يظل ينشد الهجرة سبيلاً للخلاص، فتنزف البلد ما تبقى من الأيدي الماهرة الصامدة، وسوف تعاني الأسواق السورية في مناطق النظام المزيد من الشحّ والنقص في البضائع التي سوف تختفي من الأسواق، وللأسف فإن خيبة الأمل ستكون من نصيب المتفائلين بفتح المطارات والحدود، فهذه الإجراءات لن ينتج عنها سوى انهيار متزايد للعملة التي لم تعد مدعومة بأية صادرات او بضائع، بل سيكون هذا الفتح مسرباً جديداً لخروج العملة الصعبة، اما توفر البضائع فلن يتحسن والقيمة الشرائية للعملة تتراجع وقنوات التهريب محمية من قبل الحكومة، وسيستفيد أمراء حرب آخرون من خطوط التهريب التي سوف تستمر زيادة الطلب على بضائعها، إلى أن يتمكن الأسد مجدداً من التصدي لنفوذ أمراء الحرب هؤلاء وتلبيس الطربوش للمجرم القادم مقابل بقائه في السلطة أسبوعاً آخر. وما ستخسره سوريا في أسابيع سوف يستغرق تعويضه عشرات من السنين الشاقة، وأما أبو عبدو فليس له اليوم إلا "الأمل بما تبقى من العمل"!

اللاجئون السوريون يخفّضون معدل الجريمة في تركيا
دراسة صادمة لأصوات الكراهية!

حسن عارفة

لا يبدو أن التوتر تجاه السوريين في تركيا في طريقه للانحسار؛ فالتوسع والازدياد مستمر، والكراهية كذلك، مع تدفق التحريض من أطراف تركية معارضة، وكذلك غياب المعلومات الكافية والدقيقة حول الوجود السوري في هذا البلد. بعد أحداث العاصمة أنقرة، التي اندلعت على خلفية قتل شاب سوري لمواطن تركي، وما خلفته من توترات الصيف الماضي، شهدت مدينة أزمير في آخر أيام أيلول المنصرم، أحداثاً مشابهة، أيضاً بسبب مقتل شاب تركي على يد شاب سوري. وبعيداً عن استغلال أطياف من المعارض التركية لهذا الحدث، وما دار حوله من سرديات وروايات، وتهديد ووعيد للوجود السوري، قد يقع المحرضون وأشباههم في كثير من المغالطات، بخصوص علاقة السوريين بالجريمة في تركيا؛ فإما كانوا قليلي الاطلاع على زوايا بعيدة عن منظورهم، أو متغافلين عن الحقائق عن قصد!

معهد "اقتصاديات العمل IZA - Institute of Labor Economics" وهو معهد دراسات غير ربحي وشبكة مختصة بدراسات الاقتصاد حول العالم، أصدر دراسة أو ما أسماها وفق أدبياته "ورقة مناقشة أو ورقة بحثية" بعنوان "The Effect of 3.6 Million Refugees on Crim تأثير وجود 3.6 مليون لاجئ على الجريمة". هذه الدراسة اعتمدت على بيانات حول معدلات الجريمة على مستوى المقاطعات في تركيا، خلال الفترة بين 2008 و2019. والفكرة الأهم التي وصلت إليها أنه لا يوجد علاقة إيجابية بين الهجرة ومعدلات الجريمة، ما يعني انعدام أو شبه انعدام وجود علاقة بين السوريين هنا وارتفاع معدلات الجريمة؛ إذ تعزو الدراسة ذلك لالتزام السوريين بالقوانين، موضحة أن اللاجئين السوريين هم الفئات الأكثر فقراً هنا في تركيا، وأن 79% من الأسر السورية تقع في المرتبة الأدنى بمؤشر الثروة في هذا البلد. وأشارت الدراسة إلى عدة برامج مساعدات استهدفت اللاجئين السوريين في تركيا، أبرزها "برنامج شبكة الأمان الاجتماعي في أوقات الطوارئ ESSN التابع للاتحاد الأوروبي، الذي وصل إلى 1.8 مليون لاجئ، وكذلك الاتحاد الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر، حيث يتم توزيع مبالغ نقدية للأسر السورية، إذ يقدر مبلغ الدفع للأسرة المتوسطة المكونة من 6 أفراد بنحو 720 ليرة تركيا شهرياً، وهو المبلغ الذي أثار لغطاً كبيراً، وتدور حوله أساطير وروايات من الأطراف التركية الرافضة للوجود السوري، التي وصل بها الحال لتقول إن السوريين يعيشون ويأكلون ويشربون ويستأجرون المنازل والسيارات ويترفهون في السواحل والمناطق السياحية على حساب الحكومة التركية!

الدراسة التي أكدت أن من مصادر بياناتها هو معهد الإحصاء التركي "TURKSTAT" ، حصلت على بيانات مدانين في السجون حسب نوع الجريمة، متكئة على عشرة أنواع مختلفة من الجرائم: "الاعتداء، جرائم الأسلحة النارية والسكاكين، القتل، السرقة، التهريب، الجرائم الجنسية، الخطف، التشهير، تعاطي وشراء المخدرات، وإنتاج المخدرات". ووجدت الدراسة إحصائية تقول إن اللاجئين قللوا من معدل الجريمة الإجمالي، مبينة أن زيادة 10 نقاط بالنسبة المئوية للاجئين قياساً لعدد السكان في تركيا، تقلل مقياس معدل الجريمة في هذا البلد بنسبة 8.1%. ما يعني أن الوجود السوري لم يؤثر برفع مستوى جرائم السرقة والاعتداءات الجنسية وغيرها، بل على العكس، فيما كان له تأثير على نوع واحد من "الجرائم" وهو التهريب.

ولم تغفل الدراسة بعض الفرضيات الطبيعية، التي قد تصيب أي مجتمع مضيف لموجات لاجئين صادمة وكبيرة، مثل ازدياد معدل الأنشطة الإجرامية بسبب تدهور سوق العمل أو المنافسة من قبل اللاجئين في سوق العمل، بسبب انخفاض الأجور وتأثيرهم على العمال المحليين. إذ من الممكن، أن يكونوا سببوا بعض الأنشطة الإجرامية. في نفس الوقت، تؤكد الدراسة بحسب مصادرها، أن توظيف وأجور المواطنين الأتراك في القطاع الرسمي ازدادت مع وصول اللاجئين السوريين، ما حافظ على ظروف العمل العامة. دراسة هامة ومليئة بالأرقام، التي تدحض ادعاءات الكثير من الأصوات الكارهة للوجود السوري في تركيا.

وللأسف، تتفق أطياف المعارضة السورية في تركيا، مع المعارضة التركية الكارهة للسوريين في تركيا أيضاً! على عدم الانتباه لهكذا دراسات، من شأنها تصحيح معتقدات وأساطير كثيرة تحيط باللجوء السوري في هذا البلد.

طول عمر الثورة ومصطلح "نحنا غير"

قصي الأحمد

انطلقت الثورة السورية مطلع العام 2011، وسرعان ما امتدت من منطقة لأخرى، حتى عمت نقاط التظاهر معظم المحافظات على امتداد سوريا.

لم يكن هناك بداية اتصال جغرافي واضح بين نقاط التظاهر، لكن بكل تأكيد كان هنالك اتصال معنوي أشد وثاقاً من الاتصال على المستوى الجغرافي، ولذلك أسباب كثيرة، منها وحدة الهدف واستقلال الرأي، وأعتقد أن أهمها على الإطلاق هو "الشعور الضمني بوحدة المصير" أي أن مصير متظاهري دير الزور مرتبط بمصير متظاهري درعا على الرغم من البعد الجغرافي، ومصير متظاهري الغوطة مرتبط بمصير متظاهري حمص، وهكذا..

كان هناك شبه إجماع على أسماء الجُمع التي تخرج فيها المظاهرات، ولا يقتصر الأمر على الاسم فقط، بل يتعداه إلى المضمون من شعارات وهتافات ولافتات وغيرها..

تعامل نظام الأسد بسادية مع المتظاهرين، وتحول الصراع إلى منحى جديد وهو منحى الصراع المسلح، ولم يكن لدى نظام الأسد حينها الكثير من الأوراق للعبها، فعمل على سياسة كسب الوقت وإطالة مدة الصراع قدر الإمكان في مواجهاته مع الثائرين. وكان لذلك الكثير من العواقب والتأثيرات التي لا يتسع المجال لذكرها هنا، لكن ما يهمني منها الآن هو "ضعف الشعور الضمني بوحدة المصير" الذي كان سائداً في بداية الحراك الثوري السلمي وبداية الحراك المسلح، وصولاً لانتهائه، ولا أكون مبالغاً إذا قلت وصولاً لانتهائه، فما حدث ويحدث لاحقاً يدل على ذلك بكل وضوح.

مع بداية العمل الثوري المسلح كان لا يزال ذلك الشعور سائداً في أوجه، فلا غرابة أن ترى ثوار الغوطة يقاتلون في جنوب دمشق ودرعا مع ثوار تلك المناطق وبالعكس، وترى عبد القادر صالح (المارعي الأصل) يقاتل في مدينة القصير جنباً إلى جنب مع ثوارها.. والأمثلة على ذلك كثيرة.

وأعتقد أن سبب ذلك عائد إلى انبثاق تلك الكتائب البسيطة في تلك الفترة عن المتظاهرين السلميين، وكانت تجسيداً واستمراراً لكفاحهم، وحامية لهم في نضالهم ضد نظام الأسد، وهدفها الأساسي هو العمل على إسقاط النظام وتحقيق العدالة والحرية التي صدحت بها حناجر المتظاهرين مع بداية انطلاق المظاهرات، ونتيجة لذلك فقد حظيت بحاضنة شعبية كبيرة.

وبالتوازي مع ذلك كله برزت نخبة سياسية سورية في الخارج جعلت من أولويات أعمالها العمل على تحقيق مطالب المتظاهرين أيضاً، ولذلك حظيت هي الأخرى بحاضنة شعبية وقبول جماهيري واسع، وشعار "المجلس الوطني يمثلني" الذي رفعه المتظاهرون بداية يدل على ذلك.

لكن وبعد مدة من الزمن، تحولت تلك الكتائب إلى فيالق وجيوش وألوية، وتبدلت الكثير من الوجوه في قياداتها من التي خرجت من رحم المظاهرات، وأضافت لمهمتها الأساسية مهاماً أخرى، وأصبحت بشكل أو بآخر وصية على المتظاهرين بدل أن تكون حامية لهم، وبدأ يظهر مصطلح "مدني وعسكري" للتفريق بين العملين اللذين كانا شيئاً واحداً من قبل، وأدخلت تلك الفصائل نفسها في إدارة المناطق التي سيطرت عليها، بدل أن تكتفي بحماية من يديرونها من الكفاءات، فوقعت بالكثير من الطامات، وأُدخلت لها الأيديولوجيا، فأصبحت تدخل في تفسيرات وتفاصيل للحرية والعدالة المنشودة، وبشكل الدولة بعد إسقاط النظام، واختلفت الرؤى، وتباينت وجهات النظر، ووصلت الاختلافات حدّ الصدام المسلّح بين العديد منها، واعتقدَ بعضها أنه الممثل الأوحد للثورة، وأنه يملك الحق بمفرده، وباستطاعته العمل "منفرداً" لإسقاط النظام لمجرد امتلاكه بضع مئات من العناصر ودبابتين.

هذا عدا عن دخول المال السياسي وتأثيره على استقلالية القرار العسكري للعديد منها.

سياسياً لم يكن الحال أفضل، فقد حدثت انقسامات ومحاصصات داخل الائتلاف الوطني المنبثق عن المجلس الوطني، ودخل فيه هو الآخر المال السياسي الذي حرفه عن مهمته الأساسية إلى حد ما.

على مدار سنوات الثورة السورية لم ينظر نظام الأسد وحلفاؤه للمعارضة والمناطق الخارجة عن سيطرته سوى بمنظار واحد "هم أعداء ويجب التخلص منهم واستعادة السيطرة على مناطقهم"، لكنهم تعاملوا مع كل فصيل ومنطقة بطريقة مختلفة عن الأخرى؛ فحيدوا مناطق بالهدن، وأخرى بوعود زائفة، وأخرى باتفاقيات خفض تصعيد، وبعضها بأعمال عسكرية.. وهكذا.. وأدى ذلك -بالإضافة لما ذكرته سابقاً- إلى زيادة تشتيت المعارضة بشكل أكبر وإشعارهم بالاستقلالية بعيداً عن المناطق الأخرى.. والغريب أن المعارضة كانت دائماً هي الأشد التزاماً بالاتفاقيات مع النظام وحلفائه، على الرغم من خروقات الطرف الآخر المستمرة، كيف لا وهي الطرف الأضعف بها؟!

ليس هذا كل شيء، فقد عمل النظام وحلفاؤه على تشتيت المعارضة في المنطقة الواحدة، كما حدث مع الفصائل المسلحة في الغوطة الشرقية التي لا تتعدى مساحتها بضعة كيلو مترات، حيث قامت باتفاقيتين مختلفتين مع الجانب الروسي، إحداها في جنيف مع ممثلي أحد الفصائل والأخرى في مصر مع ممثلي فصيل آخر، وهي اتفاقية خفض التصعيد التي لطالما اخترقها النظام والروس، لكن

المفارقة أن الروس أنفسهم عندما قاموا بحملتهم على الغوطة الشرقية مطلع العام 2018م، قاموا بها على الجميع!

استراتيجية التفريق هذه -والتي تتحمل المعارضة الجزء الأكبر من المسؤولية فيها- مكنت النظام وحلفاؤه من الاستفراد بكل منطقة على حدى دون شعور "فعلي" من المناطق الأخرى بالخطر القادم عليها لا محالة.

"نحنا غير" هو التبرير الذي يسوقه بعض قيادات المعارضة لتبرير سكوتهم عن نصرة أو مساعدة المناطق الثائرة الأخرى التي تتعرض للتقتيل أو التهجير، وتخفيف حدة الشعور بالخطر القادم لدى الناس.. لطالما سمعت هذه الكلمة من بعض القادة في الغوطة الشرقية أثناء حملة النظام وحلفائه على حلب، عندما كانت لدينا مخاوف من أننا سنلقى نفس المصير، كان التبرير "نحنا غير"، لكن ما جرى على الأرض يدل بكل وضوح بأنه لا أحد "غير" فالجميع بنظر النظام وحلفائه سواء.

اليوم وعلى الرغم من وجود المعارضة في منطقة متصلة جغرافياً، إلا أننا لازلنا نرى ذلك الشعور سائداً "نحنا غير". شاهدنا ذلك عندما بدأ النظام وحلفاؤه حملتهم على ريف حماة الشمالي، وصولاً لسراقب، وخان شيخون ومعرة النعمان وغيرها.. وأخيراً درعا التي بقيت تقاوم حتى آخر رمق، ثم رضخت بعد ذلك.. لم نر من معارضة باقي المناطق أفعالاً تنم عن إحساس حقيقي بالخطر القادم، هذا عدا عن الإحساس بالمسؤولية تجاه ثائرين آخرين من المفترض أن لهم نفس أهداف الثورة الأولى، ومناطق كانت شوكة في حلق نظام الأسد، وهاهي تعود إليه، ليتفرغ بعدها إلى مناطق أخرى.

على مدار الثورة السورية كان مصطلح "نحنا غير" سائداً -في الغالب- على مستوى القيادات، لكنه لم يكن كذلك على مستوى الحاضن الشعبي، الذي كان كثيراً ما ينتفض لما تتعرض له المناطق الأخرى من انتهاك، ولطالما طالب بنقض الاتفاقيات المجحفة والمكبلة للمعارضة عن مساندة المناطق الأخرى، لكن طول عمر الثورة وكمية الصدمات والخذلان التي تلقاها الناس، وإشغالهم بأزمات اقتصادية وأمنية واجتماعية.. أضعف عندهم "التعبير" عن إحساسهم بالخطر القادم، وإن كان ذلك الشعور لا يزال كامناً في أعماقهم، فهم المعني الأول والمتضرر الأكبر والأكثر تضحية في كل ماجرى، وما سيجري في قادم الأيام.

لا أدري لماذا ساد مصطلح "نحنا غير" أو لماذا بالأصل "نحنا غير" ونحن نرى أنفسنا نمشي في نفس الطريق الذي مشى فيه الآخرون، فلماذا لا نلاقي نفس مصيرهم؟!

ألا يشبه حالنا اليوم -بشكل أو بآخر- حال ممالك الطوائف بالأندلس في أيامها الأخيرة؟ وحال ممالك الشام إبان الحملة الصليبية لاحتلال القدس؟ وحال الكثير من المناطق السورية التي استعادها النظام خلال عشر سنوات من الثورة السورية؟

أليست هذه سنن وقوانين الكون التي لم تُخرق لهم؟ فلماذا تُخرق لنا نحن دوناً عن كل الناس؟!

الصيدلاني في ريف حلب

مهنة تغيب عنها المؤهلات الدراسية والعمل بالخبرة فقط

حسين الخطيب

تنتشر العديد من الصيدليات في ريف حلب الشمالي، ولكل مدينة كفايتها من الصيادلة، لتغطية أعداد السكان التي ازدادت خلال الأعوام القليلة الماضية، تزامناً مع غياب الرقابة الأمنية، المتخصصة بفرض العديد من القوانين الصارمة التي كانت تحدد صلاحيات الصيدلاني في إعطاء الأدوية، بحسب الوصفة الطبية.

مع غياب الصيادلة المؤهلين من أصحاب الشهادات، لأسباب أمنية وهجرة الكثيرين منهم خارج البلاد، نشطت فئة جديدة من "الصيادلة" الذين أتقنوا مهنة العمل الصيدلاني بالتعلم بعد عملهم لمدة عام أو عامين عند صيدلي قد يكون هو الآخر حصل على المهنة بالخبرة لا بالشهادة، التي تؤهله للعمل كصيدلي.

رصدت مجلة "طلعنا على الحرية" هذه القضية خلال جولة على مختلف المدن والبلدات في ريف حلب الشمالي، واطلعت على عمل الصيادلة في المنطقة؛ إذ لا تصل نسبة الصيادلة المتخصصين في هذه المهنة من أصحاب الشهادات العلمية إلى 10 % من عدد الصيدليات الموجودة في كل مدينة.

ومع قدوم الشتاء والتغيرات في الجو في مناطق ريف حلب الشمالي، أصيب معظم القاطنين في المنطقة بنزلات من البرد، والكريب وأيضاً كورونا، ما دفع الأهالي إلى طلب الأدوية والمضادات الحيوية، من خلال مراجعة الصيادلة لا الأطباء، الأمر الذي يتسبب بالعديد من الحوادث.

خالد حافظ، من مدينة مارع، ويعمل صيدلاني، قال لمجلة "طلعنا على الحرية": "بشكل يومي كنت أقوم بحقن المرضى بحقن الالتهاب، ويتراوح عدد الحقن التي أحقنها للمرضى داخل الصيدلية بين 75 والـ 100 حقنة، ما عدا الحقن التي يتم بيعها". وأضاف: "ازداد الطلب على أدوية الرشح والكريب إلى جانب أدوية الالتهابات، حتى إن عدداً من أنواع الأدوية المطلوبة لم تعد متوفرة آخر الليل، ومعظم هذه الحالات لا تقدم وصفات طبية".

في حين، انعكس غياب الصيادلة المتخصصين على الأهالي الذين بدؤوا يشتكون من المشاكل التي يتسبب بها هؤلاء الصيادلة لأبنائهم، إلى جانب وقوع العديد من الحوادث؛ منها إعطاء أدوية غير مناسبة للمريض، قد تؤثر عليه دون إدراكهم مدى خطورة الأمر، كون أغلب الأهالي يعتقدون أن الصيدلاني طبيب، فيعرضون عليه الطفل لمعاينته ومنحهم الدواء المطلوب. بينما هو فعلياً لا يملك مؤهلاً دراسيًّا على الإطلاق.

محمد صالح، رجل أربعيني قال خلال حديثه لمجلة "طلعنا على الحرية": "بعد إصابتي بنزلة برد قاسية تبدو أنها فيروس كورونا، ذهبت إلى أحد الصيادلة وشرحت له حالتي الصحية، إلا أن الصيدلاني وصف لي دواء كريب، مخصص للتحسّس الأنفي والاحتقان، الأمر الذي تسبب في ازدياد آثار المرض مع تناولي الدواء، نتيجة الآثار الجانبية، حيث ساهمت في تردي وضعي الصحي".

وأشار إلى أن الصيدلاني الحاصل على شهادة تخصصية يمكن أن يقدم أدوية تناسب الحالة المرضية لا تفاقمها، مضيفاً: "أصبح العمل في الصيدلية كالعمل في متجر أو بقالية، لأن الصيدلاني لم يعط الأدوية بحسب أسمائها بل بحسب المضمون التي تحتويه".

ويبدو الأمر كارثياً عندما تحولت الصيدلية من مركز لبيع المنتجات الدوائية، إلى متجر يبيع المواد الغذائية، يطلب المريض الدواء من الصيدلاني دون الأخذ بالتعليمات لأن الصيدلاني الموجود ليس لديه إمكانية فعلية لذكر التعليمات المناسبة للدواء.

من جهته علي العايد، قال لمجلة "طلعنا على الحرية" إنه تعرض لموقف سيء للغاية، ومحرج عندما أخذ أحد أطفاله إلى الصيدلاني الذي أراد حقنه بإبرة التهاب، وعندما حقن الصيدلاني الإبرة في فخذ الطفل انكسرت، مما تسبب في ضياع كامل الدواء وجروح عند الطفل.

وأضاف: "أخطاء الصيادلة في ريف حلب لا تغتفر، لأنها فعليها قد تساهم في تفاقم الأمراض لا في القضاء عليها"، وأوضح: "لم يعد لي ثقة بالصيادلة. صرت أشتري الدواء من الصيدلاني كأنني أشتري منتجاً من المواد الغذائية بحسب نوع محدد خضع لتجربتي السابقة".

تزداد الكارثة مع انعدام الرقابة القانونية على الأدوية، التي يتم بيعها لمختلف فئات الشباب دون الاهتمام بالضرر الذي قد تسببه، بينما يبحث الصيدلاني، أو البائع على الربح فقط، ويمنح الشخص أي شيء يريده حتى ولو لم يمتلك وصفة طبيب.

ويشتكي الأهالي من ارتفاع أسعار المنتجات الدوائية، واختلاف سعر الدواء الواحد من صيدلية إلى أخرى قد لا تبعد عن الأولى سوى 50 متراً، وتفاقم أسعارها بشكل غير مسبوق قد لا يتناسب مع الدخل المعيشي لدى مختلف سكان المنطقة، في ظل غياب الرقابة القانونية والطبية، التي يجب أن تعمل على تحسين واقع الصيادلة.

وتعاني مختلف المناطق في ريف حلب الشمالي من تردي الوضع الإداري والتنظيمي للنقابات في مختلف القطاعات، الأمر الذي تسبب بمزاولة العديد من الشبان لمهنة الصيدلة، دون توفر تأهيل دراسي مناسب، يخولهم مزاولة مهنة الصيدلة ضمن أساسيات وقواعد مهمة لا يدركون قيمتها في الوقت الحالي.

متحور دلتا يجتاح إدلب.. فهل تنقذنا الحملات والمبادرات من الكارثة؟

هاديا منصور

تصارع الخمسينية خديجة على فراش مرضها، بعد إصابتها بمتحور دلتا، وعجز أقربائها عن تأمين سرير لها في إحدى المشافي المكتظة بالمصابين بالفيروس، حيث بلغت الإصابات اليومية "مستويات خطرة" في إدلب وشمال غرب سوريا، وتعجز جميع المنشآت الطبية عن استيعاب الأعداد الكبيرة التي فاقت تصوراتها وطاقتها بعشرات المرات.

يقول خالد وهو الابن الأكبر لخديجة إنه لم يدع وسيلة لمساعدة والدته بإيجاد مكان لها في إحدى المشافي، ولكن دون جدوى، "المعاناة تفوق الوصف والوضع بدا خارج السيطرة" يوضح خالد.

أكثر ما استطاع خالد تأمينه في سبيل إنقاذ حياة والدته، هو جهاز إزذاذ وبعض الأدوية التي بدت دون فائدة أمام تدهور وضع والدته الصحي شيئاً فشيئاً.

وعلى الجهة المقابلة تتشارك امرأتان إحداهما في الأربعينات من عمرها والأخرى في الستين جرة الأوكسجين الواحدة، داخل مشفى إدلب الوطني الذي خصص جناحاً لاستقبال مرضى كوفيد19- ، نتيجة الضعف الواضح بوجود المنافس والأوكسجين، مما قد يساعدهما على البقاء والتنفس مع سوء حالتهما الصحية جراء إصابتهما بالفيروس الذي لم يرحم صغيراً أو كبيراً في إدلب بالآونة الأخيرة.

ولمواجهة الحاجة الملحة للحصول على الأوكسجين من أجل إنقاذ حياة المصابين، أطلقت مجموعة من الصحفيين والأطباء والفنانين المستقلين وبعض منظمات المجتمع المدني بالتعاون والتنسيق مع مديرية الصحة في إدلب وفرق الدفاع المدني حملة "نفس" في 30 سبتمبر/ أيلول من أجل تأمين العجز الحاصل في مادة الأوكسجين.

محمود بكور عضو إدارة الحملة يقول لمجلة طلعنا على الحرية: "الحملة جاءت تلبية لنداء عاجل من قبل الأطباء التابعين لمديريات الصحة في إدلب، والذين أكدوا أن نسبة إشغال الأسرة في العناية المركزة بلغت مئة بالمئة".

حيث بلغت الاحتياجات حسب الدراسة التي قدمتها مديرية الصحة في إدلب 2156 جرة أوكسجين، وبلغت نسبة العجز اليومي 1078 جرة أوكسجين بحسب بكور.

ويضيف: "تقوم الحملة على مبدأ جمع التبرعات عبر منصات وروابط من قبل أطباء سوريين خارج البلاد، بغية سد العجز الحاصل بمادة الأوكسجين الضرورية لإنقاذ المرضى".

ويشير البكور إلى أن الوضع الراهن "خطير جداً" ومعدل الوفيات في تزايد يومي وتتراوح معدلاتها بحسب إحصائيات أجرتها الحملة بين 13- 20 حالة وفاة يومية، فيما بلغت نسبة الإصابات اليومية بين 1200- 1500 إصابة يومية بمتحور دلتا أخطر المتحورات لفيروس كوفيد19- السريع الانتشار والذي يصيب كافة الفئات العمرية.

في حين أكد مركز الترصد الوبائي وصول إجمالي عدد الإصابات في إدلب وشمال غرب سوريا مؤخراً إلى 77016 وليرتفع عدد الوفيات إلى 1410.

تواجه الحملة الكثير من العوائق والصعوبات أهمها قلة الدعم المقدم والذي لا يتناسب مع الحاجة الكبيرة لتغطية الاحتياجات والامدادات الطبية العاجلة في مشافي إدلب والشمال السوري.

وبدوره يحث البكور جميع السكان على ضرورة تلقي اللقاح، وإتباع الإجراءات الوقائية بالتباعد الاجتماعي وارتداء الكمامات من أجل الحفاظ على سلامتهم وسلامة أبنائهم وعوائلهم.

من جهتها تساهم فرق الدفاع المدني في مواجهة كوفيد19- ونقل المصابين بالفيروس بشكل يومي، من وإلى مراكز ومشافي العزل بشكل متوسط، أي حوالي 40 مصاباً ومصابة، ونقلت حتى اليوم حوالي 4 آلاف حالة مصابة، كما تقوم بنقل الوفيات ودفنها وفق إجراءات احترازية مشددة لمنع نقل العدوى لذوي المتوفى، فنقلت حتى الآن 900 وفية منذ بداية انتشار الوباء مؤخراً، وذلك وفق ما صرح به أحمد شيخو (45 عاماً) مدير المكتب الإعلامي في الدفاع المدني السوري المديرية الوسطى.

ويشير الشيخو إلى إجراءات وقائية قامت بها فرقهم، كعمليات التطهير والتعقيم اليومي للمنشآت على اختلافها والمخيمات وجميع التجمعات السكنية، مؤكداً أنهم أنجزوا أكثر من 140 ألف عملية تطهير منذ 18 آذار 2020 حتى اليوم.

إضافة إلى تقديم سبل التوعية التي قامت بها فرقهم عبر جولاتهم الميدانية والملصقات والمواد الإعلامية الموجهة، من أجل توعية الأهالي وتعليمهم سبل الوقاية الشخصية، وضرورة أخذ اللقاحات وفض التجمعات والتعقيم والغسيل الدوري للأيدي.

ويتابع شيخو: "المراكز النسائية في الدفاع المدني قدمت مبادرات هي الأولى من نوعها من خلال تقديم الرعاية الطبية الممكنة للمرضى في منازلهم أو المخيمات، نظراً لانشغال المشافي بشكل كبير وعدم القدرة على استيعاب أعداد أكبر".

مديرية الصحة في إدلب حذرت من "خطر حقيقي" بعد إشغال كل أسرة العناية المركزة وأسرة الأجنحة، وحول ذلك يقول الدكتور حسام قره محمد مسؤول ملف كورونا في مديرية صحة إدلب: "الوضع سيئ للغاية، فجميع الأسرة امتلأت بمرضى كوفيد، ومعظم حالات الشفاء من الإصابة كانت لأشخاص تلقوا اللقاح المضاد للفيروس، في حين أن جميع المتوفين لم يحصلوا عليه".

مشاهد دراميّة من مسلسل التعليم السوري

يوسف صادق

مسلسل التعليم السوري من إنتاج جهة وحيدة تحتكر إنتاج وصنع العلم وطلّابه، وتضع عليهم شارتها كأفضل مُنتَج قابل للاستهلاك! يُخرجه شخص يهدف لتلميع صورة أسياده، أمّا الطلّاب والمعلّمون والإداريون فممثّلون بارعون، يمارسون أدوارهم في منظّمات السلطة وميادينها بإبداع وإتقان، أمّا مناهجهم فلنترك للمَشاهد الحديث عنها.

بعد عشر سنوات بات لدينا مشاهدُ وإنتاجٌ دراميّ ينافس مشاهد بقعة ضوء ومرايا، نختار بعضها علّها تختصر السؤال: ماذا يتعلّم أطفالنا في سوريا؟ وأين هو بناء الإنسان في تلك المشاهد؟

مشهد رقم (1): تراجيدي قصير:

أطفال يجلسون على الحجارة وبقايا الأخشاب في مدرسة مهدّمة، وما زالت بعض المقاعد المحطّمة شاهدةً على تلاميذ كانوا هنا..

مدرسةٌ مفتوحةٌ على العالم الفسيح، يشترك الخارج مع الكتب بعملية التعليم دون استئذان، فالعلم لا يقتصر على معلومات الكتب، ما سرُّ هذا الإصرار على التعليم وسط الدمار؟ يتساءل أحدٌ ما! أليس الدمار الحاصل في بيوتهم ومرافقهم أولى بالاهتمام؟ الأطفال يردّدون خلف معلمهم بحماسة: نواجه خراب المكان بعمارة القلوب والنفوس، نراجع تاريخنا بعد عشر سنوات، هي عمر سوريا الحديثة، لا خوف يمنعنا من هذا المكان، وكلُّ ما نتعلّمه حقيقيٌّ.. لا نمجّد أحداً، ونعرف أن لا وظيفة تنتظرنا الآن، حسبنا أنّنا بدأنا نحبُّ التعليم كما نحبُّ هذا المكان بحطامه!

مشهد رقم (2): تراجيدي قصير:

أطفالٌ يفترشون التراب بدفاترهم، ومَن لا يملك دفتراً يخطُّ على الأرض بعصاً، يظلّلهم شبه خيمة تفتح فمها للرياح وللمدى، التراب أقرب لدفاترهم للحياة، والشمس شاهدةٌ على نداء الحياة، نداء الغد. يواجهون عزلة المنفى في المنفى الكبير، بانتماء للمستقبل، يعرفون أنّ العلم يملأ ويحيي المكان مثلما يحيي النفوس، وإذا ما تساءل أحدٌ عن جدوى التعليم في هذا (المنفى)، حسبهم يقولون: التعليم لا ينتظر وقتاً محدّداً، التعليم إحياءٌ للروح، وخلق انتماء للمستقبل.

لو كان روبنسون كروزو جاهلاً لما فكّر بتعليم أولاده على الجزيرة المهجورة. إنّه يؤمن مثلما يؤمن أطفال الخيام والمدارس المهدّمة بالغد، وإنّه لا يوجد لحظة عدم أو فراغ. لحظات العدم والفراغ من صنع اليأس واضمحلال الحياة. حسبهم أنّهم يهيّئون أنفسهم لسعادة قادمة. وليس زمن التعليم في الخيمة أو المدرسة المهدّمة لحظةٌ عابرةٌ أو جامدةٌ في الزمن، بل لها الأثر البالغ غداً، فلن ينسَ الأطفال ما خطّوه على الحجارة وبقايا الأخشاب وما حفظها التراب من آثار عودٍ صغيرٍ يشبه المحراث. ألم يحفظ الأقدمون جُلَّ الكتب من رقائم طينية وحجريّة؟! ألم يحفظ الشعراء قصائدهم بجانب آثار قوم ارتحلوا؟ ألم يرسم كبار الفلكيين حركات النجوم بأعوادٍ فوق وجه الرمال؟ حسبهم انتماؤهم للمستقبل..

مشهد رقم (3): طويل تراجيدي وكوميدي:

على بُعد أمتارٍ من خيام المشهد الثاني، هناك من يصوّر مشهداً آخر في خيام أخرى، لكن ثمّة فروقات؛ فالمصوّر في خيام المشهد الثالث مُكلّف من قِبَل المُنتج بإخراج أجمل الصور، تتصدّر الخيام صور الزعيم الأكبر يلوّح لأحدٍ ما!.. يرقص الممثّلون تحت ظلال الصورة محاولين الوصول بظهورهم للتراب، فيشتدّ تصفيق الجمهور!.. يعيدون المشاهد حتّى يتصبّب الممثلون عرقاً، وبدل أن يقبّلوا التراب يقبّلون أحذية الصور!

حقّاً كما قال غسان كنفاني: خيمةٌ عن خيمة تختلف!.. خيمة الإيمان بالمستقبل غير خيمة الخوف والذلّ من الحاضر والمستقبل.

في خيم الخوف تعليمٌ وتلقينٌ، واستمرارٌ لمسلسل التدجين منذ الحضانة، فهنا النتيجة والثمار السامّة لذاك المسلسل الطويل، هذه الخيمة تختصر كلّ ما يحاول الطاغية تلقينه لأتباعه.

مشهد رقم (4):

ليس المشهد الأخير، لكن ارتأى المخرج أن يتبعه بأجزاء لا تنتهي، نظراً للإقبال الشديد عليه، وحتّى لا تكون نهايته تراجيدية، أدخل المخرج عليه الكوميديا:

الأطفال يهرعون مسرعين إلى مدارسهم، ليس من أجل التعليم، لكن.. حتّى لا يفوتهم الاجتماع الصباحيّ وتحيّة العلم، ليس حبّاً وانتماءً لرمز.. بل حتّى لا يعاقبهم المدير، وتُوضع نقاطٌ سوداء في صفحات أهاليهم؛ فهي أهمّ من المكتوب في دفاتر أطفالهم!

الأمّهات والآباء يشدّون أطفالهم من آذانهم: هيّا للمدرسة!.. يتنافس الأطفال بالهتافات، ليعلنوا عن أنفسهم ببراءة، أنّهم مستعدّون لدورٍ أكبر في مسرحية أكبر، يكوّنون بها الجلّاد في المستقبل!.. يجاريهم بعض المعلّمين المغلوبين على أمرهم، بينما يستمرئ البعض الآخر تلك المسرحية بأنّها تؤهّلهم للعب أدوار أخرى في مسلسلات أخرى من إنتاج تلك السلطة، فيكسبون الكثير!

الجميع يدور في حلقة مفرغة، في رقصة الموت لبداية عرس لم يتعلموا الفرح فيه، هل الكلّ مغلوبٌ على أمره؟ هل خرج التلاميذ والمعلّمون من هذا العدم وكسروا قيود الطاغية؟ هل هذا التعليم وما يتبعه من وظيفة تؤهل لبناء إنسانٍ ومجتمع؟

أسئلة كثيرة تطرحها علينا دراما التعليم السوري، والإجابة حيّةٌ عيانيّةٌ؛ يكفي أن نقول: لماذا يهجر أبناؤنا مدارسهم وجامعاتهم؟ ولماذا يحلمون بالهجرة، ولماذا لا يعنيهم من كلّ التعليم سوى النجاح وفقط؟ ولماذا تراجع تصنيف التعليم في سوريا عالمياً إلى الحضيض! ولماذا انتشرت المعاهد الخاصة والدروس الخصوصية و"ملخّصات النجاح" إلى حدّ طغيانها على المناهج ذاتها.. أليست هذه مؤشرات على انحطاط التعليم في ظلّ الفوضى التي خلقها الطاغية واستثمر بها، ليتربّع على عرشه فوقها.

ينتهي المشهد مع عبارة "يتبع في الجزء الآخر".. ويبقى السؤال ببراءة لماذا أطفال سوريا يكرهون المدارس والتعليم؟

كلُّ المشاهدين والممثّلين يعرفون الإجابة، ويعرفون أنّهم يكذبون، ويعرفون أنّ مَن يكذب يعلم أنّه كذلك، ويعلمون أنّه كاذب.. لكن تستمرّ المسلسلات، كما في مسرحية فيروز، عليهم أن يستمروا في الكذبة لأنّها الحقيقة الوحيدة التي يعيشونها.

نوقف التصوير على أملٍ بإنتاجٍ ليس للاستهلاك، بل لصنع الحياة كما تليق بالسوريّ.

قيادة النساء للسيارات في إدلب.. كسر العزلة والتغلب على الصعوبات

دارين الحسن - إدلب

تذهب عبير برفقة مدربتها يومياً إلى شارع واسع على أطراف مدينة إدلب لمتابعة التدرب على قيادة السيارة، وبعد أيام باتت تجلس بكل ثقة وجرأة وراء مقود السيارة، وتتحلى بقوة القلب وبرودة الأعصاب وسرعة البديهة لمواجهة الحوادث الطارئة، مؤكدة أن حالة من القلق اعترتها في البداية من ردود فعل المجتمع، لكنها ما لبثت أن لاقت تشجيعاً من المحيط حسب قولها.

يزداد إقبال النساء على تعلم قيادة السيارات بشكل ملحوظ في إدلب خلال الآونة الأخيرة، نتيجة ظروف الحرب من قصف وتهجير، وضرورة اعتماد النساء على أنفسهن في قضاء حاجات أسرهن، وكثرة المهام والالتزامات الواقعة على عاتقهن.

عبير الأسود (27 عاماً) تدرس الطب البشري في جامعة إدلب، وتضطر للتنقل بين منزلها والجامعة والمركز الطبي الذي تتلقى به التدريب العملي، وتعتبر تعلمها للقيادة أمراً منطقياً وطبيعياً، موضحة: "أضطر يومياً للتنقل من مكان لآخر، وأواجه مشكلة في عدم وجود وسائل للنقل العام في إدلب، الأمر الذي دفعني لتعلم قيادة سيارة والدي، للاعتماد على نفسي في التنقل، والالتزام بالمواعيد، والتخلص من انتظار سيارات الأجرة".

كذلك حنان السلوم (35 عاماً) وهي نازحة من معرة النعمان إلى مدينة معرة مصرين، وأم لخمسة أبناء، وجدت نفسها مضطرة لتعلم القيادة بعد وفاة زوجها منذ سنتين، "أضطر أحياناً لإسعاف أحد أولادي، أو النزوح من مكان إلى آخر في أوقات القصف، وفي كل مرة أجد نفسي مضطرة لطلب المساعدة من الآخرين، فقررت تعلم القيادة لأتمكن من قيادة سيارة زوجي، وقضاء حاجات أسرتي الملحة دون الحاجة لأحد" تقول حنان.

تعليم القيادة.. مهنة للنساء أيضاً!

روان الحاكورة (35 عاماً) تعمل بمهنة تعليم النساء على قيادة السيارات، لتلبية حاجة المجتمع في ظل غياب مدارس تعليم القيادة في إدلب.

تقول لطلعنا عالحرية: "أعباء الحياة ومتطلباتها أتاحت المجال واسعاً أمام الشريحة النسائية لقيادة السيارات وخدمة أغراضهن اليومية، وإتاحة مساحة من حرية الحركة والتنقل إلى أي مكان، دون أن تحمل زوجها عبء التفرغ من أجل إيصالها، ومن ثم العودة لأخذها، بما فيه مضيعة للوقت و الجهد".

تلاحظ حنان خلال عملها إقبالاً متزايداً على تعلم قيادة السيارات من قبل النساء، وبما أن قيادة النساء تتسم بالهدوء والالتزام، فهي لا تواجه أي صعوبات في تدريب النساء على قيادة السيارات.

وتوضح أن النساء في إدلب دخلن مجالات عمل جديدة كالإعلام والدفاع المدني والمساعدة في الإسعاف وإنقاذ الأرواح، تزامناً مع فقدان الكثيرات لأزواجهن الذين قضوا في الحرب أو هاجروا خارج البلاد، لذلك، بحسب حنان: "كان لزاماً على النساء تعلم قيادة السيارات التي تساعدهن على النهوض بشكل أفضل بأعبائهن اليومية من تلبية احتياجات العمل والمنزل، وحسن التعامل مع المواقف الطارئة، والاستجابة بسرعة لمتطلبات تلك الحالات".

تلتزم المدربة ببرنامج منظم للتدريب؛ حيث لا تتخطى المتدربة مرحلة ما إلا بعد إتمامها وإتقانها بشكل كامل، ويتم التدريب العملي على قيادة السيارة بداية في ساحة أو طريق لا يحوي سيارات أخرى، لتكتسب المتدربة مهارات القيادة الأساسية مثل تحريك السيارة، الوقوف بأنواعه، اللف والدوران وخلافها من مهارات مبدئية، ثم تخضع بعدها لاختبار تطبيقي يقيس مدى تمكنها من هذه المهارات التي تم اكتسابها. ويتم بعد ذلك الانتقال إلى التدريب على الطرق العامة، والشوارع المأهولة بالمركبات الأخرى والمشاة، لتتعلم المتدربة من خلال هذا التدريب أسس القيادة والتعامل مع المركبات الأخرى، وتقييم مدى التزامها بقواعد المرور وأسس السلامة على الطريق.

آراء متضاربة!

طالت النساء اللواتي يقدن سيارات في إدلب آراء وردود أفعال متباينة؛ حيث اعتبر البعض القيادة حكراً على الرجال، كأحمد العوض (40 عاماً) من مدينة معرة النعمان، " قيادة السيارات تتطلب الجرأة والخشونة للرد على مضايقات الآخرين، وتجاوز الصعوبات الطرقية والخطرة" يقول أحمد، مضيفاً: "المرأة تنقصها الحرفية في معرفة التخلص من ازدحام الطرقات أو تجاوز صعوبات القيادة والسير".

ولكن النماذج على الأرض تخالف هذا الرأي، وهو ما يأتي في سياق حديث المرشدة الاجتماعية فاطمة العلوش، التي تقول: "تعلم قيادة السيارة شيء مهم بالنسبة للمرأة، ولا يوجد ما يمنعها عن ذلك، فهو يساعدها في تقوية شخصيتها، ويعطيها الثقة بنفسها أكثر؛ حيث أن المرأة التي تستطيع قيادة السيارة تكون فاعلة ومؤثرة في مجتمعها أو محيطها الذي تعيش فيه".

وتضيف: "قيادة النساء للسيارات تتعدّى حدود الرفاهية لتصبح حاجة ملحّة؛ فكثيرة هي المواقف التي تحتاج المرأة إلى القيادة، لمعالجة الحالات الطارئة والظروف الصعبة التي قد تتعرض لها الأسرة، كمرض الأب أو الابن أو أحد أفراد العائلة بصورة مفاجئة، فقيامها بقيادة السيارة والتصرف السريع لإسعافهم يساهم في حمايتهم من حصول أي مكروه".

الشائعات تحرم أكثر من نصف سكان إدلب من تلقي لقاح كورونا رغم تفاقم عدد الإصابات

شمس الدين مطعون

لم تجرؤ السيدة باسمة 54 عاماً أن تخبر جاراتها أنها تلقت جرعة لقاح كورونا، وبينما كانت النسوة تروي القصص المخيفة عنه قالت إحداهن: "سمعت إنو لازم ما نقرب جنب حدا أخد اللقاح، لأنو اللقاح يعني إصابة بكورونا وبتصير العدوى أكتر"، وردت أخرى: "الحمد لله ما أخدنا ولا بدنا ناخد.. مو ناقصنا مرض".

لا تخفي السيدة باسمة خلال حديثها لـ"طلعنا عالحرية"، خوفها بعد سماع تلك القصص، لاسيما أنها تقلت جرعة اللقاح منذ أيام عدة. لكنها تقول: "بعد أن عانيت من إصابتي بفيروس كورونا العام الماضي، لم أتردد بأخذ اللقاح، لأن زوجي وابنتي وزوجها أيضاً أخذوا اللقاح قبلي، ولم تظهر عليهم أي آثار جانبية".

وتوضح السيدة أنها لم تعاني بعد تلقي اللقاح من أي أعراض جانبية تذكر، سوى من ارتفاع طفيف بالحرارة وألم موضعي مكان تلقي إبرة اللقاح وقد زالت آثاره بعد يومين.

وكانت فرق الدفاع المدني في الشمال المحرر أعلنت في بيان صادر عنها أن الذروة الجديدة من فيروس كورونا، التي بدأت قبل نحو شهرين لا تزال مستمرة، دون وجود أي مؤشر على تراجعها في المدى المنظور.

ودعا البيان الأهالي لضرورة أخذ اللقاح واتباع إرشادات الوقاية من الإصابة بفيروس كورونا، مثل ارتداء الكمامة والتباعد الاجتماعي وتعقيم اليدين باستمرار.

إلا أن شرائح كبيرة من المجتمع أبدوا قلقهم، معلنين مقاطعة اللقاح، فلم تكن جارات باسمة هن فقط من تروين الحكايات عن اللقاح وينسجن الأضرار من وحي خيالهن أو من صفحات الفيسبوك و مجموعات التواصل عنه، حيث يحجم الناس في محافظة إدلب بشكل ملحوظ عن تلقي اللقاح، في ظل ارتفاع عدد الإصابات يومياً.

يقول حسن إنه بعد تلقيه الجرعة الأولى من لقاح كورونا أخبر أصدقاءه عبر منشور على صفحته في فيسبوك، ليتفاجأ بطريقة التعليقات التي انهالت على منشوره، أقلها: "الله يعافيك ... الله لا يضرك" و"حسبي الله ونعم الوكيل"! ويتابع: "قال لي أحد الأصدقاء جاداً الحمد لله يلي عندك ولاد.. لأن ع الأغلب ما عاد تجيب ولاد بسبب اللقاح"!

"ما حدا بموت ناقص عمر" بهذه الكلمات يعبر الشاب عمر 26 عاماً عن رفضه الحصول على لقاح كورونا، ويدافع عن رأيه بسؤاله: "كيف يمكننا أن نثق بلقاح وباء لم نعرف أصله بعد لنكتشف له علاجه؟!".

ويشاطر الحاج عثمان 59 عاماً الشاب عمر رأيه، حيث رفض هو الأخر أخذ اللقاح، رغم كبر سنه وإصابته بأمراض مزمنة كالضغط والسكري. يقول الحاج: "ما متنا بكورونا.. بدهن يموتونا باللقاح"، ويضيف: "إذا الصين صنعت المرض لتقتل المسلمين، كيف بدي صدق إنهن عملوا لقاح حتى يعالجونا؟".

هشام أبو المهند ممرض في إحدى مشافي مدينة إدلب، يرى أن السبب الرئيسي لعدم إقبال الناس على أخذ اللقاح ليس الإشعاعات والخرافات التي يتم تداولها وحسب، إنما يرجع السبب الأكبر لوجود شريحة كبيرة من الأطباء والعاملين في المجال الصحي والمثقفين ومن يتمتعون بمكانة عالية بالمجتمع رفضوا اللقاح ولا يشجعون الأهالي على تلقيه.

يقول أبو المهند سمعت أحد الأطباء في المشفى وهو يجيب أحد مرضاه عن تجربة اللقاح بقوله: "نصيحتي لا تخالط الناس، وعقم بيتك وعائلتك، ولكن لا تأخذ اللقاح، لأنه يسبب أضراراً أكثر من المنفعة". ويبرر الطبيب رأيه بحسب أبو المهند بأن "اللقاح ينقصه التأكد من التجارب التي أجريت على الأشخاص الذين حصلوا على اللقاح، كما أنه ليس لدنيا الثقة بمصدر اللقاح الحقيقي".

من جهته يقول عماد زهران مدير المكتب الإعلامي بمديرية صحة إدلب، إن "نسبة التغطية باللقاح في إدلب حتى الآن لم تتجاوز 2.75 ٪، وهي نسبة ضعيفة جداً".

وقد بلغ إجمالي الجرعات المستهلكة خلال حملة اللقاح ضد فيروس كورونا في محافظة إدلب 107 آلاف و729 جرعة. وعدد الأشخاص الذين تلقوا الجرعة الأولى 536 ألف و92 شخصاً، بينما بلغ عدد الذي تلقوا جرعتين من اللقاح 298 ألف و90 شخصاً، وفق آخر إحصائية لمديرية صحة إدلب.

ويوضح الزهران أن جرعات اللقاح باتت متوفرة لجميع شرائح المجتمع، مبيناً أن اللقاح قد لا يقي من الإصابة بفيروس كورونا، ولكنه حتماً يقي من المضاعفات الخطيرة للمرض، كما أنه يمنح الجسم مناعة لمدة أطول من المناعة التي تلي الإصابة، كما أن مراكز العزل والعناية المشددة لم تسجل حالات لمن تلقى لقاح كورونا.

في المقابل فإن إقبال الأهالي على اللقاح ضعيف، إثر الشائعات المتداولة عن اللقاح، وتشير إحصائيات الفرق الطبية إلى أن نصف المجتمع ما زال يرفض اللقاح، على حين دقت الفرق الطبية في الشمال المحرر ناقوس الخطر جراء تفاقم أعداد إصابات كورونا، حيث بدأ القطاع الصحي يستنفد جميع إمكانياته المتاحة.

"وكان اسمها سوريا"
رواية لماجدولين الرفاعي

قراءة / حواس محمود

تعتبر رواية الكاتبة الروائية والقاصّة السورية ماجدولين الرفاعي "وكان اسمها سوريا" الصادرة عن دار فضاءات للنشر والتوزيع - عمان، والتي تُرجمت مؤخراً للإنكليزية، رواية الحدث السوري الكبير. ماجدولين بأسلوبها الأدبي الرائع وسردها الروائي الجميل، استطاعت نقل الألم السوري الكبير؛ ألم القمع، ألم الهجرة وعمليات التهريب، ألم المعاناة وألم الثكالى والأرامل، والغرق في البحار، والحصار والتجويع، والملاحقة والقتل والتدمير، وركزت على موضوع المرأة ومعاناتها قبل الثورة وأثناءها وبعدها.

تتحدث الرواية عبر بطلتها روان عن بدايات الثورة السورية؛ إذ تقول: "جاييك الدور يا دكتور، الشعب يريد إسقاط النظام، بضع كلمات نارية أشعلت ثورة تاريخية سيتحدث عنها أحفاد أحفادنا" ص 39.

"روان" بطلة الرواية التي أنجبت طفلة اسمها "زينة" كانت قد تزوجت زواجاً تقليدياً، ويتم تطليقها من زوجها "عصام" الذي كان يسيء التعامل معها بشكل فظ..

تتعرف روان على الناشط "كمال" وتتطور بينهما علاقة حب عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حتى قبل أن يتقابلا. تدخل السجن هي وصديقها/ حبيبها كمال نتيجة كمين تنصبه لهما زميلتها "سمر" الناشطة الإعلامية من مدينتها، والتي يتضح فيما بعد أنها كانت عميلة لمخابرات النظام. تقول روان: "كان هدفها الوحيد الإيقاع بالنشطاء عن طريق الفتيات الساذجات أمثالي، فات الأوان.. وها نحن نأكل الطعم ونقع في المصيدة " ص 98.

في المعتقل تلتقي روان مع عدد لا يحصى من النساء، ولكل منهن قصة موجعة.. وتتلقى روان في السجن -هي وغيرها- أبشع أنواع التعذيب المعروف في سجون النظام السوري، وتتعرض للاغتصاب من قبل السجانين وجلادي السجن،

في هذه الرواية، تنتقد الروائية ماجدولين القيم الاجتماعية السائدة في سوريا، والصمت تجاه استبداد النظام، وبلسان روان تقول: "ثم سألت نفسي أين الفضيحة عندما تغتصب المرأة من جلادها؟ وفي مكان لا يمكن لأحد أن يخلصها من براثنه؟ الفضيحة صمتنا الجبان على استمرار اغتصاب حريتنا، وتدجيننا أربعين عاماً ونيفاً، مع التصفيق وترديد الهتافات والدعاء لمولانا كي يطيل الله عمره".

بعد خروج روان من السجن، تنصحها والدتها بالسفر هي وابنتها خارج سوريا، وتوافق روان على طلب أمها. أمها التي تحبها كثيراً ولا تطيق رحيلاً عنها، لكن لا مناص من ذلك، خوفاً من اعتقالها ثانية من قبل أمن النظام.

وهكذا.. تتعرض لصعوبات شتى في رحلة متعبة وقاسية إلى اليونان، بالإضافة لاستمرار تأنيب الضمير على الخطأ الفادح في حق كمال الشاب الثوري المخلص، والذي أحبته وأحبها، وبقي حسرة لديها مصيره، وبقي لها أمل أن يكون قد خرج من السجن.

وتتحقق أمنيتها عندما تكتشف أنه حي يرزق، من خلال مشاهدة نشرة تلفزيونية تعرض الناجين من غرق سفينة سورية بالقرب من الشواطئ اليونانية، وتتأكد بشكل نهائي من أنه هو من بين الناجين من تلك السفينة، وتعبر عن فرحتها بهذا النبأ السار بالقول: "سعيدة أنا سعيدة بمقدار ما ذقته من عذاب.. إذاً أفرجوا عنك أخيراً وكتب لك النجاة، والخروج من عمق الموت، ومن سعير السراديب حياً.

لقد أنصفتني الحياة لا أحلام لدي بعد سلامتك إلا سلامة سوريا" ص112.

لقد أبدعت الروائية ماجدولين في هذا العمل الرائع حقاً، وهذه الرواية سيكون لها صداها الكبير في الوسط الأدبي والثقافي والفكري السوري، وسيكون لها صدى وتفاعل أكبر بعد أن تتوزع النسخة المترجمة بين القراء في أوروبا والعالم.

أرواح أفغانستان

بشرى البشوات

في حوار مع ليلى أحمد زادي الألمانية الأفغانية التي فازت عام 2014 بالجائزة الثانية لصور الصحافة العالمية عن تقريرها تحت عنوان (ليلة صامتة- مذبحة قندهار)

تتحدث ليلى عن الصور القادمة من أفغانستان، وترصد من خلال عدسة الكاميرا حياة أربع نساء أفغانيات يحاولن تقرير مصيرهن بأنفسهن، تصوّر ليلى النساء العاديات، العاديات جداً.

صورة للخبازة، للأمّ، لراعية في الجبال، لنساء لم يسمع بهن أحد، نساء يغنيّن أغان عارية وحرة، تعبر جبال قندهار وتسكن في كهوفها.

"أزداد جنونًا حين أمرّ قرب قبر وليّ
أرمي له الحجارة لكل أمنياتي غير المستجابة"

لا يستجيب الأولياء لأمنيات نساء البشتون الأفغانيات، تمضي النساء المنسيّات بين الجبال الشاهقة، والتضاريس الوعرة إلى الحب والرغائب من خلال الغناء، يتناقلن بسريّة تامة الأبيات الشعريّة مشافهة دون تدوين أو حفظ.

قندهار التي أوجعها الموت، لم تنج نساؤها إلا بالشعر، تؤلف نساء البشتون هذه الأشعار وهنّ غاديات إلى الحصاد، يجمعن الحطب، يحملن جرار الماء.

يؤلّفن الشعر بأجساد تتصبب عرقاً تحت سماء أفغانستان وشمسها الملتهبة.

يكشف كتاب "اللانداي" أو الشعر الشعبي للنساء البشتون، والذي جمعه الكاتب الأفغاني "سيد بهاء الدين مجروح"، الذي صارت ذكراه نثارًا بعد اغتياله في بيشاور سنة 1988. يكشف "اللانداي" وهو الموجز.

الكتاب الذي ترجم إلى الفرنسية، ثم نقله إلى العربية "جميل صلاح" الجانب المضيء والخلاق لروح أفغانستان، بعيدًا عن صوتها المهزوم من الجراح، ينبش أرض كابل الوعرة، ليخلّي سبيل الشهوات التي طمرتها نساء البشتون.

تقول الحكاية: "نساء البشتون لا ينتحرن بالرصاص، ولا بشنق الأنفس، فالحبال والسلاح من أدوات الرجال، وأجسادهن العطشى لا تجد راحتها إلا في قاع الأنهار؛ قفزة واحدة إلى الهاوية ويُغرق الماء كل الأحزان"!

"يا إلهي ماذا تفعل بي؟
الأخرون زهور تفتحت، وأنا تركتني برعمًا"

قندهار حيث تلد النساء نساء أخريات، وتلد الجبال الشاهقة الحب والشهوات، في الطريق إلى الماء، تضع النساء حملهنّ بعد مخاض مرّ، يضعن أشعارًا، يهمسن بها همسًا، حيث حياتهن السريّة المغلولة، ومخادعهن التي لا يدخلها أحد، المتدفقة لهفة.

يُعلنُ عندها الشعر نفسه حرًا مرتجلًا بعيدًا عن التراكيب المثقلة، أو اللغة الجافة، ومن هذه الكوّة الضيقة التي بالكاد تتسع لمرور أجسادهن ينطلقن إلى البراري بلا وزن أو قافية في كثير من الأحيان.

يغيب الوزن كثيرًا، لكن ما يظهر جليًا هو الجرس الداخلي الراقص، التناغم الصوتي الشفيف الذي يمنح هذه المقاطع لحنًا خاصًا.

"أحبّه! أحبّه! لا أخفي ذلك ولا أنكره
حتى لو قطعوا كل شاماتي بالسكين"

"خذني بين يديك أولًا ثم ضمني
بعدها أدر وجهي وقبّل شاماتي واحدة تلو الأخرى"

لا تقول نساء البشتون شعرًا صوفيًا، ففي مجتمع ذكوري قاسٍ، يحتكر فيه الرجال كل السلطات، وينوء كاهل المرأة بكل الأعباء، يصير المتنفس الوحيد هو الغناء، لا تركن النساء إلى فلسفة، أو علوم، بل إلى ما تمنحه الجبال والفطرة الأولى.

فالقصيدة القصيرة جدًا تقع في بيتين يأتي الأول وفق 9 مقاطع لفظية، بينما يأتي الثاني وفق 13 مقطعًا، تُخلق من الينابيع وحمل الجرار. المقاطع الملاصقة للحياة.

يتميّز شعر نساء البشتون بعاطفته الصادقة، هو شعر حسيّ خالص.

في مدينة مثل كابل تُسدِل أمتارًا من القماش فوق أجساد النساء، تظل المرأة حبيسة الجسد في تغريبة حقيقية، لذلك لا تجد بدًا من تعريته ولو حتى بالشعر والغناء، تطلقه من سجنه ليرقص حرًا خفيفًا. بعيدًا عن الحيّز المسموح لها بالتحرك من خلاله؛ ألا وهو الرجل.

"خفيّة أكتوي، خفيّة أبكي
أنا امرأة الباشتون التي لا تقدر الإفصاح عن حبّها.
أملك أساور لا ألبسها
منذ أن التحقت بحبيبي، ذراعي عاريّة دون حليّ"

تطورت المواضيع في الأغاني الجديدة، لكن ما يلاحظ كيف غطت جناح الحرب صوت الشعر، وصار اليأس ملاصقًا للأنغام.

فالمنفى، القتال، البشع الدميّم، الحبّ.

هو ما بقي واضحًا وجليًّا لدى هؤلاء النسوة.

حلّ الربيع، الأوراق تنبت على الغصون
لكن في بلادي، فقدت الأشجار أغصانها تحت وابل رصاص الأعداء.

"إذا لم تحمل جرحك في صدرك
لن أبالي حتى إذا ثُقب ظهرك مثل مصفاة"
افتح ثغرًا في الحائط، قبّلني على الشفة.
البشع الدميم، بناه وسيتمكن من ترميمه.

"إذا لم تعرف كيف تحبّ
لماذا أيقظت قلبي النائم؟"

وهكذا تمثل المرأة الباشتونية، صورة للمرأة النقية، الشفيفة، الساذجة، الماكرة.

هنا تكمن ذروة المرأة المنفية، أمنيتها الوحيدة الرجوع إلى الجبال، إلى القرى، لجلب الماء، والمزيد من الأغاني..

وأخيرًا تقول امرأة باشتونية:

"في يدي وردة تذبل
لا أعرف لمن أعطيها في هذه الأرض الغريبة"!

أبطال إبراهيم صموئيل بين قمع الواقع وإنسانيّة المواقف

ياسمين نهار

القصّة القصيرة هي أن يأخذ الكاتب شريحة من جسد الحياة، أو قطعة منها، ويضعها تحت مجهره الخاصّ بعد أن ينفخ فيها من روحه؛ فتأتي هذه الشّريحة الصّغيرة معبّرة عن الحياة برمّتها، بأفراحها وأتراحها، بهمومها ومشاغلها.

"اتخذها الأدباء في الغرب للتّعبير عن وحدتهم ووحدة الإنسان في غابة الحياة الماديّة التي لا ترحم، واستخدمها الأدباء في الشّرق للتّعبير عن تلك اللّحظة التي يقرع فيها سوط الظالم ظهر المظلوم، وتُنزع اللّقمة من فم الجائع، وتنشب فيها مخالب الذئب في صدر الضّحية" على حدّ تعبير الدّكتور عبد الكريم الكردي.

حين قرأت "رائحة الخطو الثقيل" وهي المجموعة القصصية الأولى لإبراهيم صموئيل الصّادرة عن دار الجندي للنّشر والتّوزيع عام 1988 خطر على بالي قول شهير لـ"بابلو نيرودا" يوجز فيه نظرته إلى الحياة فيقول: "أنظرُ إلى الحياة بمنظار دراماتيكي؛ الشيء الذي لا يمسّ عاطفتي لا يعنيني"، وصموئيل قاصّ برع في تحريك العواطف وإثارة المشاعر الإنسانيّة؛ ربّما لأنّ شخوص قصصه يشبهوننا إلى حدّ بعيد، يتقاسمون معنا الحصص الكبرى من القمع والفقر والخوف.

وليس بخافٍ علينا أنّ العمل الأوّل للمبدع يكون بمثابة تذكرة عبور تسمح له أن يدخل عالم الكتابة، أمّا التّجديد والإضافة فيأتيان في الأعمال اللّاحقة، إلّا أنّ كاتبنا قدّم لنا منذ مجموعته الأولى "رائحة الخطو الثّقيل" تجربة ناضجة مكتملة.

في قصصه يتجاور الحبّ والألم من جهة، والانكسار ودفق العاطفة من جهة ثانية، والمبادئ الإنسانية السّامية وحالات الضّعف الإنسانيّ من جهة ثالثة.

إبراهيم صموئيل كاتب وقاصّ سوري من مواليد دمشق عام 1951، درس في جامعة دمشق قسم الدّراسات الفلسفيّة والاجتماعيّة، له أربع مجموعات قصصيّة هي "رائحة الخطو الثّقيل، النّحنحات، الوعر الأزرق، البيت ذو المدخل الواطئ".

لم يسعَ وراء غزارة الإنتاج لأنّ همّه نوعيّة الكتابة وليس كميّتها، يقول: "مازلت مخلصاً لوعد قطعته وعاهدت نفسي عليه؛ ألّا أكتب سطراً واحداً في قصّة إذا لم يكن من دمي وروحي وإحساسي وحاجتي للكتابة. وإن لم أشعر بحاجة ماسّة لكتابة قصّة لا أكتب" وبرأيي لا تقاس موهبة القاصّ بغزارة إنتاجه؛ وإنّما بما يضيفه لهذا الفنّ القائم عل التركيز والتّكثيف، وأيضاً بما يميّزه عن غيره في أسلوب معالجته للمواضيع التي يتطرّق إليها.

من المهمّ الإشارة إلى تعرّض كاتبنا لتجربتي اعتقال، مع ذلك لم يوثّق تجربة الاعتقال في قصصه بشكل مباشر؛ بل تحدّث عن آثارها المتشبّثة بالروح كأخطبوط، وما تحمله تلك التّجربة من قمع لإنسانيّة الإنسان. ويبدو لي أنّه استطاع أن ينفلت من الحديث عن معاناته الذّاتيّة وتجربته الشّخصيّة حين احتضنت كتاباته الإنسان في معاناته اليوميّة -داخل السّجن وخارجه-، واحتضنت الإنسان في حياته المقنّعة المكبوتة الأنفاس، من خلال تكثيف لغويّ كشف الحقائق المؤلمة، وهو بذلك يكون قد وضع معاناة أبطال قصصه في المدار الإنسانيّ العامّ. بهذا البعد الإنسانيّ يواجه كاتبنا السّلطة المُقيّدة والرّقابة بأشكالها كافّة. يقول ممدوح عدوان في تقديمه لمجموعة "رائحة الخطو الثّقيل": "ما يلفت الانتباه في هذه المجموعة من القصص القصيرة التي تنزف بفعل السّياسة، أنّها تخلو من كلمة سياسة واحدة. أنّها خالية أيضاً من مشاهد التّحقيق والتّعذيب والضّعف، أو البطولة، أمامهما" فقصص إبراهيم صموئيل أوسع وأعمق من أن تُحدّد بمذهب أيديولوجي؛ إنّها قصّة الإنسان المشغول بالرّاهن، المنصت إلى عمقه الإنسانيّ، فقد رصدت كتاباته الضّيق والخيبات والتّناقضات الحادّة التي يعانيها الإنسان المقموع المقهور داخل السّجن وخارجه.

في قصّة "الزّيارة" ثمّة طفلٌ كغصن غضّ حُكم عليه أن يكبر بعيداً عن الأب الشّجرة، وثمّة شوق وكلام مهمّ لزوجة تودّ أنّ تقوله لزوجها المحكوم عليه بالسّجن، وخلف بابين من القضبان يتعذّر على الأب إيجاد وسيلة للتواصل مع ابنه؛ فلا الفرع يلتحم بالشّجرة، ولا الحديث ينجو من أسياف الوقت.

ويمكننا أن نتوقف أيضاً عند قصّة "سعد"، وهو معتقل أدمن استحضار الذّكريات ليبعد عنه وحشة الزّنزانة. وخيالاته تحمله هذه المرّة إلى لقاء "المقبرة"! نعم فقد التقى بحبيبته "عناد" في المقبرة -يوم عصف به الشّوق- غير آبهٍ بأشباح الموت، لأنّ ثمّة أشباحاً كانوا يجوبون ممرّات المدينة بحثاً عن المطاردين الحالمين بالحبّ والحريّة.

ولئن نجح سعد وعناد في تدبير لقاء -ولو في المقبرة- فإنّ وقع الخطوات الثّقيلة لأحدهم، أو ربّما المخاوف منعا لقاء سلمى بزوجها المُلاحق والمتخفي عن الأنظار، والحقيقة أنّ إبراهيم صموئيل في قصّة "رائحة الخطو الثّقيل" قدّم لنا "لوحة قلميّة" على حدّ تعبير "يحيى حقّي" اعتمدت على عنصر التّصوير وجعلت الحدث في خدمته.

ومن اللّافت للنّظر النّزعة الإنسانيّة في قصص صموئيل، وتركيزه على الأشياء البسيطة الحميمة، ومنها رسالة مكتوبة بخط دقيق اكتشفها بطل قصّة "العيون المشرعة" على ورقة نقدية أرسلتها له زوجته إلى السّجن، وهنا يقع البطل في صراع هل ينفق المال من أجل شراء أبسط مقوّمات النّظافة له ولزملائه، نظراً للحاجة الماسّة لها، أم يحتفظ بالقطعة النّقديّة لأنّه رأى زوجته تقطن في حروف الرّسالة المكتوبة على القطعة النّقديّة؟ بعبارة أخرى: هل تنتصر الضّرورة على الأحاسيس والمشاعر في الأقبية المعتمة؟!

ومن الملاحظ أنّ إبراهيم صموئيل لا يصوّر لنا عالماً متكاملاً، بل يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة، ونقطة الارتكاز في قصّة "الرّجل الذي لم يعد أباً" هي الفجوة الكبيرة التي تركتها ثلاث سنوات من الاعتقال بين الأب وابنه، وكيف اتّخذ هذا الطّفل صورة والده (أباً بديلاً) أثناء وجود الأب في المعتقل

وبعد خروجه أيضاً؛ لأنّ والدته عوّدته بعد اعتقال والده أن يخاطب الصّورة، ويشتكي إليها، ويطلب منها ما يريد.. والسّؤال: كم يحتاج الأهل من الوقت والجهد لترميم الفجوة بينهم وبين أبنائهم بعد تجربة الاعتقال؟ وهذه القصّة كغيرها من قصص صموئيل تسقط دلالاتها الإيحائيّة على حيوات معظم الأبناء ذوي الحالات المشابهة. أمّا قصّة "هذه المرّة" تعتمد على تكثيف الأحاسيس وتتابعها لتأتي لحظة الكشف الصّادمة في النّهاية وهي موت ابنة بطل القصّة.

ومن المهمّ الإشارة إلى ما تحمله قصص صموئيل من دلالات إيحائيّة لا تفصيليّة إلّا أنّها تدلّ على حياة كاملة كما في قصّة "الصّناديق" التي جعل فيها الكاتب الحلم امتداداً للواقع المرّ حين عرض قصّة شاب انكسرت أحلامه في وطنٍ لم يلقَ فيه إلّا الاعتقال وصعوبة العمل وتحقيق العيش الكريم.

وليس ذلك فحسب فقد تميّزت قصصه بتكثيف قابل للاتساع والتّمدّد بل قُل للانفجار في أعماقنا، ولاسيّما حين يتعلّق الموضوع بضيق العيش؛ فما أقسى الحياة حين تجبر معلّمة معطاءة على التّفكير بسرقة تلاميذها في قصّة "ليا"! لأنّ راتبها القليل لا يؤمّن الحاجات الضّروريّة، أو حين تجعل زوجة تبيع جسدها من أجل تأمين مصروف الأولاد كما في قصّة "يا فدوى".

ومن يقرأ قصص إبراهيم صموئيل الموجزة والمركّزة يرَ أنّ كاتبنا مخلصٌ لفكرته، متّحدٌ بلغته، وبأحداث قصصه، فكتاباته تعبّر عن نبرته الخاصّة، وهو بذلك يختلف عن الرّوائيّ الذي يعتمد تعدد الأصوات وفق رأي الفيلسوف والناقد الروسي "باختين".

رغم أنّ شخصيّات القصّة القصيرة -مهما تعدّدت- تأتي غالباً بدون أسماء صريحة، وبدون حياة كاملة، إلّا أنّ صموئيل اختار لكلّ أبطال "رائحة الخطو الثّقيل" أسماء صريحة، لأنّه أراد لها الحضور الكامل والعميق في ذواتنا، وفي وجداننا.

وبالعودة إلى قول بابلو نيرودا السّابق أؤكد على براعة صموئيل في تكثيف المشاعر والأحاسيس في قصص اعتمدت لغة مكثّفة، لذا استطاعت كتاباته أن تطرق باب القلب وتذكّرنا بإنسانيتنا الممزّقة في بلاد الحروب والنّكبات.